الخاتمةُ، أسأل اللّه حسنها

وبعدَ هذه الرحلة الماتعة النافعة مع ابن تيمية وجهوده في الدراسات القرآنية تطبيقًا على علم السّنن الربانية، وما قدّمه من نفع للإسلام والمسلمين في مجال التفسير والسّنن الربانية نجد أنّ الشيخ نبعٌ لا ينضُب ماؤه، وروح باقية على مدى الزمان، تبثّ الخير والأمل والسعادة في نفوس الناس أجمعين، وتعالج ما فسد من النفوس، وتنبّه على الأخطار، وتصحبنا إلى جنة عرضها السموات والأرض يمكننا أن نرصد الآتي:

١- حفلت حياة ابن تيمية بالجهاد العلمي والجهاد العملي، ومزج بين الدعوة قولًا وسلوكًا، وشغل الناس حيًّا وميتًا، وما زال تراثه زاخرًا بالنفع العام والخاص، وبصورة أخصّ ما يتعلق منه بالدراسات القرآنية وعلم السنن، وما زال في حاجة إلى إبراز وخدمة وتقريب يتيح لعموم الأمّة الإفادة منه والنفع به.

٢- توفّرت لابن تيمية روافد متعددة كونته قرآنيًّا وسننيًّا ومنحته القدرة على استخراج كثير من سنن الله- تعالى- في الأنفس والآفاق.

٣- أنّ تأثيره فيمن بعده بدا واضحًا جليًّا سواء فيمن تتلمذوا عليه مباشرة أو فيمن جاء بعدهم، وظلّ أثره هذا عبر قرون وما زال، وفيه من المجالات الخصبة التي تستحق الدراسة وتستأهل البحث.

٤- اعتمد شيخُ الإسلام في تفسيره على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وبعد ذلك كانت اللغة العربية وعلومها والثقافة العامة لديه وسيلة للترجيح بين الآراء واختيار أحسنها.

٥- أن الجوانب التطبيقية في علم السنن لديه بدتْ واضحةً جليّة، وساعده على هذا الوعي السعي بالحركة والدعوة، وتبيان الحقّ وتصحيح المفاهيم وإرشاد الناس إلى الحق، ودلالتهم على الله- تعالى.

٦- أن موضوع السنن بصفة عامة وتطبيقاته لدى ابن تيمية بصفةٍ خاصّة من أهمّ الموضوعات التي نحتاجها اليوم؛ لما تمرّ به أمتنا الإسلامية من مِحن ونكبات، وفيه تِبيان للنهج الصحيح للخروج ممّا هي فيه.

٧- أنّ شخصية ابن تيمية من الشخصيات التي ظُلمت وهُضمت من خصومها، وكثير من أتباعها، فلم يعرض فكره بصورة مناسبة، ونسب إليه كثير من التشدّد وهو منه براء.

إنّ مَن يدرس تراث ابن تيمية ويعكف على قراءته قراءة متأنية يجد الرحمة واللين والرفق والدعوة بالتي هي أحسن يتخلل كلّ هذا تراثه، وأن لديه رؤية واضحة وبصرًا شديدًا بمنهجية التعامل مع الطوائف الأخرى من خلال الكتاب والسنة، وقد صدقت الأيام وأيّد الواقع المعيش الذي تحياه الأمّة اليوم صواب رأيه في الحكم على الفرق النافرة عن الإسلام كلًّا أو بعضًا.

٨- تنوّعت السّنن في تراث ابن تيمية بين تأصيلية وتطبيقية وفردية وجماعية، ونفسية وتاريخية، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على استيعابه للسنن ووعيه بها وتطبيقه لها.

٩- تعلّمنا من خلال هذه الدراسة كيف أنّ العلم بالكتاب شرحًا وتفصيلًا هو الوسيلة الوحيدة لإحياء قلوب شقيت وحزنت لبعدها عن كتاب الله- تعالى.

١٠- أنّ هذه الدراسة التي قدّمت لنا مجموعة من السنن الإلهية تمثل لبنةً من لبنات تراث الشيخ وعطائه الفكري.